شيوع الأحلام والأوهام أيام المحن

في حالات الضعف التي تعتري الشعوب وفي أيام المحن التي تذلهم فيها الأمور لا يجد الناس طريقا للخلاص إلا بالأمنيات الكاذبة والأحلام الوردية تداعب خيالاتهم يحلمون بيوم يرفع فيه الظلم ويتحقق العدل ويخرجون فيه من الظلمات إلى النور وقد يتعلقون بأوهام تغريهم وأساطير تهون عليهم المصائب والويلات ومثلهم كمثل المريض الميؤوس من شفائه وتتحير الأطباء في تشخيص مرضه فإن أهله يلجئون إلى الدجالين والمشعوذين يكتبون لهم الأجمة والتعاويذ فيعيش هو وأهله على أمل كاذب ثم تكون النهاية المحتومة إن لم يتداركهم الله برحمته.

وقد تناسوا جميعا أن الإسلام يمقت الدجل والخرافة وأن الرسول نهى عن إتيان الكهان والعرافين وبين أن من أتاهم وصدقهم فقد كفر بما أنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- وحال أمتنا الإسلامية كحال ذلك المريض وقد أصبحت في حال يرثى لها من الضعف ونعني بالضعف الضعف النفسي لا المادي.

وقد أحاط بها الأعداء من كل جانب وتداعت عليهم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها وعزموا على الخلاص من هذه الأمة وهي عاجزة عن المواجهة.

وهنا وجدها البعض فرصة لترويج أفكار ومفاهيم خاطئة أبرزوها في حكايات تروى أو في كتيبات شتى تتحدث عن المخلص المنتظر قدومه أو تتحدث عن قرب يوم القيامة بل ويحدد بعضهم موعدها باليوم والساعة.

وفي هذا وذاك مدعاة للتواكل والكسل والاستسلام. وبعضها يتحدث عن معركة حربية وشيكة تسمى "هرمجدون" نسبة إلى جبل "مجيدو" في فلسطين. والكل ينتظر معجزة من السماء تنقذهم وتهلك عدوهم وقد علموا أن زمن المعجزات قد ولى والبعض ينتظر مجيء خليفة للمسلمين أو مجيء شبيه بصلاح الدين إن آتنا أصبحنا نريد نصرا على طريقة بني إسرائيل يوما قال لهم موسى -عليه السلام- " ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ " [سورة المائدة:21]

فقالوا " قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ " [سورة المائدة:22] وزادوا فقالوا " اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون " [سورة المائدة:24]

ونسينا قول الله تعالى " قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ" [التوبة:14]

إن تلك الأفكار أشبه ما تكون بالمخدرات التي تقعد الهمم عن النضال وتصيب الإرادة الإنسانية بالشلل بل إنها تقدم لأمريكا وأتباعها الذرائع لضرب المخرفين الذين يعيشون في الأوهام والأساطير خاصة عندما يسمعون البعض يردد أن القرآن تنبأ في سورة التوبة بما حدث لأمريكا وأن شارع "جرف هار" في نيويورك هو الذي جاء في قوله تعالى " أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" [التوبة:109]

وتورط البعض في تنزيل الأحاديث الواردة عن الفتن وأشراط الساعة على الواقع يتزعمون أن أصحاب الرايات السود الذين جاء ذكرهم في بعض الأحاديث كعلامة من علامات الساعة هم "رجال طالبان" في أفغانستان كما يزعمون أن ظهور الطاعون قرب قيام الساعة هو ظهور مرض الجمرة الخبيثة الذي زعموا أنه ظهر في أمريكا مع أنه لم يتأكد بعد.

إن هذا مخطط لتقويض عقل الأمة وتغييبها عن الواقع الأليم حتى لا نواجهه بما ينبغي أن نواجهه به فهل بمثل هذه الأوهام وتلك الأحلام توقف الزحف الأمريكي.

حتى فكرة المهدي المنتظر إذا كانت صحيحة فهل بترويجها ننقذ الشعب الفلسطيني من الكارثة التي تحيق به.

إن من حق المريض أن يحلم بالشفاء لكن عليه ألا ييأس وليبحث عن الأطباء وليتناول الدواء وإن كان مرا ومن حق المظلوم أن يحلم بالنصر لكن عليه أن يعد العدة لينتصر على عدوه ولا يستسلم للأعداء وثقوا أنه لا ينقذنا ولا يخلصنا مما نحن فيه إلا عقل رشيد وعمل سديد " وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" [التوبة:105]

محمد محمود ندا

مدير عام بحوث الدعوة بوزارة الأوقاف سابقا